

المثقفون العرب والديمقراطية

فالح أبو خالد

تعي أهمية الديمقراطية ولا تدرك علاقة الثقافة والوعي بالديمقراطية.

ثانياً: إن المثقفين العرب عموماً ليسوا مستعدين لأن يدفعوا ثمن الديمقراطية الباهظ، وأنهم لذلك ينتظرون معجزات تحررهم.

وما ذكرناه يبدو واضحاً في مجالات متعددة، لعل من أهمها أن النظرة إلى الديمقراطية ما زالت غائمة مشوشة وما زال المثقفون يتهربون من التحديدات أو محاولة التحديد. وهم ما داموا كذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يبلغوا مبلغ الالتزام لأن الإنسان يلتزم بما يعي، ويتمسك بنا يتمثل في قضايا محددة، ولا يلتزم باختلاطات وأوهام.

ثم إن الإنسان يلتزم بما يعتبره قضيته ويقاوم دفاعاً عما يراه هاماً بالنسبة لمصيره وحقوقه وكرامته، وليس هناك من النضال في الوطن العربي من أجل الديمقراطية ما يسمح لنا بالقول: إن مسألة الديمقراطية قد أصبحت قضية المثقفين العرب باعتبارهم طليعة من طلائع أمة محتملة أرضها، ومجزأة ومضطهدة ومتخلفة. وهناك أيضاً مظاهر أخرى تستحق إثارة الانتباه إليها لأنها ذات دلالات. ومن هذه المظاهر وجود بطانات من المثقفين واشباههم لكل أجهزة القمع العربية، فكل المطبلين والمزمرين لأنظمة القمع واجهتها من المثقفين واشباههم.

ولقد تضخمت أجهزة الاعلام، والثقافة وقامت اتحادات ونقابات صحفية وأدبية وحررت صحف ومجلات وانشئت دور نشر وكثير منها يخدم القمع والقتل، وندافع عن الطاغوت، وهي تبرى ظالماً بانها آخر، وتدافع عن قائل بكشف آخر.

وبينا نتحدث الأنظمة والأجهزة جيوشاً ثقافية لمحاربة الثقافة، تصمت قطاعات واسعة من المثقفين العرب وتمهم حيناً، وتتواطأ حيناً، ولكنها على كل حال لا تقاوم إلا بأضعف الإيمان ومن بعيد.. وإلا إذا فتح لها نظام ابواقه لمهاجمة نظام آخر.

وفي هذا الوقت العصيب من حياة الأمة ومثقفها، تستمر عمليات المطاردة التي تقوم بها الأنظمة، والاجهزة التي تتعدد وتتوسع كل يوم، وتستخدم فيها كل أساليب التهيب والترغيب من القتل إلى الرشوة والاستلاب والاحضاع.

وعلى الرغم من اتساع نطاق الارهاب والقمع فإن صدى الاحتجاج عليها ضئيل وغير مسموع، لأن الاحتجاج عليها ضئيل وغير مسموع أيضاً. ذلك أن مشاركة المثقفين العرب في رفع هذا الكابوس عن صدر الوطن العربي، والأمة العربية لا تتعدى الاحتجاجات الضعيفة وغير ذات الأثر.

والأكثر إثارة من هذا أن المثقفين العرب الذين يحتلون مواقع في احزاب وقوى سياسية والذين يحتلون الكراسي والمواقع في الأنظمة لا يلعبون دوراً هاماً لمصلحة الثقافة ويلعبون في معظم الأحيان دوراً معادياً للديمقراطية فهم يلجأون إلى سياسة قمع الخصوم، ومحاربة الحوار، وإغلاق المنابر، وكم افواه المعارضين بدلاً من أن يجاربوا الطاغوت ويمارسوا الحوار

في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة العربية، حيث فلسطين محتلة بكاملها، وحيث الاحتلال الصهيوني قائم في كل من الجولان وسيناء، وحيث استطاعت الامبريالية والصهيونية أن يحققا اتفاقيتي كامب ديفيد وأن تخرجاً مصر من معركة الحرب الأولى معركة تحرير فلسطين، وحيث الرجعية تشن الآن أعنف وأشرس هجمة على منجزات حركة التحرر العربية بدعم من الامبريالية والصهيونية، وحيث تصل الهجمة الامبريالية إلى أعلى مستوياتها في التحالف الاستراتيجي القائم بين العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية، والقوى الرجعية وقوى الردة العربية وباختصار حيث الأمة العربية كلها مهددة في مجرد بقائها بدءاً من الحصار الذي يشند حول الثورة الفلسطينية منذ أيلول عمان ١٩٧٠ مروراً بالتحرك الفاشي في لبنان وصولاً إلى المشاريع التصفوية التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية، تصفية كاملة ونهائية.. ووصولاً إلى وضع الأمة العربية كلها على ابواب حرب طائفية تحقق المشروع الامبريالي المتمثل بتجزئة التجزئة.. نرى ونلمس بوضوح غياب دور المثقف العربي، الثوري والماعل بسبب من غياب الديمقراطية في الواقع العربي.

ولعله من المفيد أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي:

- كيف ينظر المثقفون العرب إلى الديمقراطية؟

وإذا كان من المستحيل الجزم بأننا نعطي إجابة جامعة وشاملة ولذا فإننا نستطيع أن نقول:

إن الاغلبية الكبرى من المثقفين العرب ترى في الديمقراطية مطلباً من واجب الآخرين أن ينجزوه. انه مطلب سام وهام، وضروري ولكنه من مهات آخرين.. أما المثقفون أنفسهم فليسوا معنيين بغير الإشارة تصريحاً، إن سنحت الظروف، وتلميحاً إذا كانت الظروف صعبة، وهمساً في دوائر ومجالس الثرثرة والاصدقاء إذا بلغ القمع الزبي.

وهذا يعني:

أولاً: إن قطاعات واسعة من المثقفين العرب ما زالت لا

وخوض هذه المعركة على أرض الوطن الجزأ والمتخلف
والمحتلة أرضه والمهدد وجوده يستلزم ما يلي:

أولاً: اكتشاف علاقة الديمقراطية بكرامة المواطنين..
ودورها في تحقيق مطامح الجماهير الشعبية واهميتها في بناء
مجتمع متأسك وموحد.. وفي فتح أبواب التحولات الدولية
والكبيرة في المجتمع العربي، لأن القمع يقوم على الازدلال دائماً
ويرتكز إلى كل عوامل التخلف ولأنه يتسم بضيق الأفق،
ويخفق كل الطاقات الخلاقة في المجتمع ويقتل المبادرات الشعبية
ويوطد سلطة الجهل، والتخلف والقتل.

ثانياً: النضال لتحديد اهداف التحول الديمقراطي ولترسيخ
قيم الديمقراطية داخل صفوف قوى الثورة، ومحاربة كل
السرعات القمعية في صفوف قوى الثورة وجعل الديمقراطية
مطلباً هاماً لا للقوى الثورية فحسب ولكن للشعب بصورة عامة.
ثالثاً: خوض النضالات ضد القمع، والقتل، وتعريه كل
برامج القمع واساليبه.

إن القمع في الوطن العربي يزداد اتساعاً، وشراسة وفي كل
يوم تنتهك حقوق الإنسان الأساسية، وتبتدل ولا نجد حتى هيئة
أو منظمة أو حزباً يعني بمثل هذه الأمور كما تخضع قضايا
الحريات الأساسية للمساومات والتوازنات القائمة، وتعتبر كل
سلطة قائمة صاحبة العلاقة وحدها فيما يختص بالمواطنين الذين
تعتبرهم (رعاياها) وهي لا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونهم.. أما
الأحزاب والقوى السياسية والوطنية والتقدمية فإنها لا ترى
قضية الديمقراطية من قضاياها الأساسية في الممارسة على الأقل.
وفي مثل هذه الأوضاع وفي مثل هذه المرحلة نحن مطالبون
باعتبار قضية الديمقراطية قضية أساسية من قضاياها، وبخوض
النضالات اللازمة في سبيلها.. لأنها بذلك فقط نبي ووطننا
العربي على أسس راسخة.. ونحقق مطامح جماهيرنا كلها.
إن الديمقراطية شرط أساسي من شروط معركة تحرير
الوطن العربي كله من التخلف والتجزئة والاحتلال.
وعلى المثقفين العرب ايضاً كانوا أن يتحملوا مسؤولياتهم في
هذا الواقع..
عليهم أن يواجهوا للمرة الحاسمة اعداء الديمقراطية.

خالد أبو خالد

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الديمقراطي، ويدافعوا عن حرية الرأي.
إن هذا كله يتطلب منا أن نعيد طرح مهات المثقفين
عليهم.. وأن نطالبهم بالقيام بدورهم المفروض عليهم لكونهم
مثقفين.

ونحن بالطبع لا نتحدث هنا عن مثقفي الطبقات الشائخة،
والعفنة التي تعارض مصالحها مع مصالح الجماهير الشعبية. لأن
المثقفين المشار إليهم يمثلون مصالح طبقاتهم وهي يؤيدون التبعية
لارتباط مصالحهم بالامبريالية ويؤيدون القمع لأن لهم مصلحة في
بقاء الأنظمة القمعية، واستمرار التخلف والتبعية، وإنما
نتحدث عن مثقفي الطبقات الكادحة والمثقفين العرب
الديمقراطيين بصورة عامة لأن انتصار كفاح طبقاتهم يتطلب
منهم تحديد دورهم بدقة أو تجسيد الوعي الثوري الذي يساهم في
إنارة الطريق أمام جماهيرهم، ويساعد على بلورة برامجها
السياسية والنضالية ويبلور أسس وحدتها.

ومهات هؤلاء المثقفين كبيرة لأن بنية المجتمع تلقي على
كاهلهم ادواراً طليعية، فهم القادرون ان التزاموا بمصالح
جماهيرهم ومطالبها على التعبير الواعي والجار عن ارادتها.. وعلى
استخلاص قوانين نضالها والمشاركة الفعالة في تعبئة قواها.
هل يعني بأننا نتحدث عن المثقفين العرب باعتبارهم
افراداً؟

كلا، بالطبع، لأن المثقفين العرب جزء من الطبقات
والفئات التي ينتمون إليها وجزء من المجتمع والأمة ولذلك فإن
الدور المطالبين به ليس ادوارهم الفردية فحسب، لأن عليهم
مهات باعتبارهم مواطنين مسؤولين ولكن دورهم الذاتي كشرحية
يزداد أهمية وخطورة عندما يندمجون بمحركات شعوبهم
ويصبحون جزءاً منها.

إن هن أهم مهاتهم ما يلي:

أ- اكتشاف قوانين التطور التاريخية، وتحديد المهات
والبرامج واستشراف آفاق التطور المقبل.
ب- فضح وتعرية تخلف البنى السياسية والاجتماعية السائدة
وكشف تخلفها وتعنفها والتبشير بمجتمع أفضل.. بالمعنى التقدمي
الأرحب.

ج- التعبئة الثورية لكل الطبقات والفئات ذات المصلحة
في التحرير والوحدة والاشتراكية في إطار الثورة العربية.
وهذا ما فعله المثقفون الكبار في هذا العصر على اختلاف
هوياتهم وافكارهم. انهم لم يفسروا العالم، بل عملوا على تغييره
ودفعوا في سبيل ذلك تضحيات كبيرة.

والمثقفون العرب اليوم مطالبون بممارسة هذا الدور وبصورة
أكثر تقدماً وتطوراً وأن يخوضوا معركة تحرير امتهم، من
التجزئة والتخلف والاحتلال معركة تقدمها باتجاه المساهمة
الفاعلة في الحضارة والانسانية والسلام، من أجل الديمقراطية في
الوطن العربي تقوم على رأس مهات المثقفين العرب في هذه
المعركة.